جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–

كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

المقياس: فلسفة التأويل في العصر الوسيط

المستوى: السنة الثانية ليسانس

الاستاذ: عكاك

السنة الجامعية: 2021–2022

المحاضرة الأولى: اشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين في العصر الوسيط

اليونان بصفة عامة نظروا الى الكون نظرة عقلية، وان كانت ممزوجة باراء من الفكر الشرقي الاسطوري، وهذا لا يمنع من التاكيد على انهم حاولوا ان يتحرروا قد الامكان من هذا التفكير الاسطوري الشرقي. وعلى العموم، فان الفلسفة القديمة هي نظرة للكون والانسان خالية من الديانات السماوية. ولقد انطلق اليونان من المصادرات الاتية:

–ان العالم قديم قدم مادته، اي انه لم يخلق. كما انه ياخذ شكلا دائريا لا بداية ولا نهاية له.

–ان العالم يمثل كتلة صماء منظمة تنظيما ذاتيا، تجعله يستغني عن اي تدخل خارجي (الالهة). وفي هذا الصدد يقول الحكيم اليوناني سوفون:"ان الطبيعة صماء لا تستجيب لمن يناجيها."

–ان ما يجري في هذا العالم يجري وفق ضرورة سببية طبيعية (العلل الاربعة عند ارسطو).

–ان الانسان من حيث هو حيوان مدني يستطيع لن يعمل ويجازى، كما انه متحرر من كل الحتميات الاجتماعية، لذلك فان الانسان يحاول لاول مرة ان يتامل في العالم الخارجي من خلال نظرته الذاتية التفسيرية.

– ان اليونان متشائم روحيا لكنه متفائل معرفيا، بحيث لهم الثقة في قدراتهم العقلية للوصول الى المعرفة.

–ان الاقتصاد اليوناني يقوم على فكرة العبودية(العبيد آلة منتجة).

–ان الفلسفة اليونانية تريد ان تقدم لنا فلسفة متكاملة، فاليونان ارادوا ان ينبهوا الانسان انه اذا ما فكر حقق ما يريد (العلم هو مفتاح حياة الانسان) عكس الشرق تماما.

الفلسفة والدين:

لقد كان لظهور الدين المسيحي الاثر الكبير على ما توصل اليه الانسان اليوناني من معارف ظل مسلما بها ومعترف بها الى وقت طويل من الزمن، بحيث زعزع وزلزل الدين المسيحي هيكل الفلسفة اليونانية وهتك قداسته، ليزيل عنه ذلك القناع الزائف عن وجهه ويظهره في صورته الحقيقية.

وكل هذا كان منطلقا رئيسيا لفرض كل ما هو عقلي فلسفي يتجرد من الدين المقدس. وهذا ما يظهر جليا من خلال قولة ترتوليان:"لسنا في حاجة الى فضول بعد السيد المسيح." ويقول كذلك:"نحن نحاول ان نؤمن بالمستحيلات الخارقات عقلا لا بالوقائع العامة فقط."

الديانة المسيحية والخرق الصارم للفلسفة الارسطية:

لقد كان لظهور المسيح الاثر الكبير على ما توصل اليه الانسان القديم من معرفة ظلت لزمن طويل متداولة ومسلم بها، خاصة الفلسفة الطبيعية الارسطية الخاضعة لمبدا السببية.

–ان العالم له بداية ونهاية اي ان الانسان المسيحي وجّه حياته توجيها خطيا لا التوجيه الدائري الابدي الارسطي (عالم يوناني بلا تاريخ)، فتحن امام كون درامي محدث خلق من العدم.

– ما دامت الحياة لها بداية ونهاية في وقت ما، فهي مقدمة للحياة الاخروية (منافي للافكار القديمة الخاصة بالشرقيين حول فكرة الخلود.)

– ان المعجزات من حيث هي خرق لقوانين الطبيعة تعتبر بمثابة خرق كذلك لفكرة السببية الارسطية.

–ان مصدر الحقيقة هو الدين (الوحي) وليس الفلسفة او الانسان، بحيث انتقلنا من المعرفة العقلية الانسانية المكتشفة الى المعرفة الدينية التنزيلية.

– ان الدين جاء في احكامه مناقضا لفكرة العبودية، فلا فرق بين العجم والعرب، الاسود والابيض...الخ

ان الحل المطروح بقوة من اشكالية التوفيق بين الدين والفلسفة، هو المصادرة على اسبقية الدين والايمان به.

لكن اللغة الانسانية التي جاءت عليها الديانة الموحاة، تميزت بالغموض والالتباس، لذلك فامكان العقل ان يفسرها ويزيل ذلك اللثام المفروض على الانسان بفعل تلك اللغة.

وهذه نقطة تحول كبيرة في مسار الفلسفة، فهذه الاخيرة ستصبح خادمة ومطيعة للدين، فهي لا تبحث عن الحقيقة وانما تدافع عنها.

المحاضرة الثانية: مفهوم التأويل وجذوره التاريخية

ان كلمة "هرمنيوطيقا" ترجع في اصلها الى الكلمة اليونانية "هرمنيوس"، وتعني المفسر او الشارح، وهي مرتبطة ب"هرمس" رسول الالهة، ومن جملة الخصائص التي اوردها هوميروس في وصفه له، كونه الوحيد القادر على ان يعبر البون الفاصل بين الالهة والبشر وينقل في غلة واضحة ومفهومة ما يجول في خاطر الالهة.

هذه الخصائص التي تميز هرمس لا تخرج في جوهرها عن خصائص التاويلية، مما يؤكد الصلة الوثيقة بينهما ويفند كل الشكوك حول صحتها، فالتاويلية تشير الى التفسير الذي يكشف عن شيء متوار ومستور داخل النص، يعجز الفهم العادي عن بلوغه، والمفسر في قراءته لنص ما يدرك بانه يشكل وسيطا يشيّد جسرا للتفاهم بين عالمين: احدهما عالم النص الغامض المبهم، وثانيهما عالمنا الذي نعيش فيه ونالفه وما يتميز به من وضوح. هذه الوساطة هي ذاتها المهمة التي يضطلع بها هرمس، فهو الوسيط الذي ينقل رسائل "زيوس" الى البشر، بحيث يقيم جسرا للتفاهم بينهما.

ان للتاويل جذوره التاريخية التي تمتد الى اليونان، بحيث تم تطبيقه على تفسير الاساطير، الشعر، والفلسفة، خاصة عند الاجابة عن التساؤلات التي تبحث عن اصل الكون، وقد كان للتفسير العقلي نصيبه الاكبر من التفسيرات والتاويلات المطروحة. كما ان افلاطون وظف العديد من الاساطير للتعبير عن افكاره الفلسفية في قالب رمزي، كاساطير اصل النفس السماوي وسقوطها عن عالم النفوس الالهية..الخ

اما في العصور الوسطى، فقد اقترن اسم "التاويل" بمعلم اللاهوت للدلالة على فن تاويل وترجمة الكتاب المقدس بدقة، ويعد اوغسطين، احد آباء الكنيسة الاولى، ومن اهم مؤوليها. فلقد عمل على تطوير نظرية في التفسير الحرفي والرمزي، ولم يكتف بالاشارة اليهما فحسب، بل وضع مبادئ واضحة للتمييز والترجيح بينهما، وبوحي من الافلاطونية المحدثة، كشف في كتابه"العقيدة المسيحية"، عن الكيفية التي تسمو بها الروح فوق المعنى الحرفي والاخلاقي الظاهر لتبلغ المعنى الروحي الباطن.

المحاضرة الثالثة: التأويل الرمزي للتوراة عند فيلون الاسكندري

لقد كانت الاسكندرية تحت لواء الامبراطورية الرومانية، كما ان فيلون لم يكن يعرف اللغة العبرية، بل كان يقرا التوراة في نصها اليوناني(الترجمة السبعينية)، فهذه الترجمة جاءت كنصيحة من طرف احد الحكام حتى تضعف الصلة بين اليهود وأورشليم، حتى يتوقف تسريب اموال اليهود اليها.

يعتبر النص التوراتي مجموعة من الرموز التي ينبغي تأويلها حتى تنبعث فيها الروح، واعتمادا على الافلاطونية المحدثة، قام فيلون بشرح رموز التوراة على زعمه، فكان اذا وقف على نص مثل (الكاهن الاعظم يخلع رداءه قبل ان يدخل قدس الاقداس) يتأوله بقوله: ان الكاهن الاعظم هو النفس الانسانية، وخلع الرداء هو التخلص من سيطرة الجسم والمادة، والدخول الى قدس الاقداس هو ارتقاء النفس الى العالم الاعلى.

ورد في سفر التكوين:"صنع الرب الاله لادم وزوجته ثيابا من جلد والبسهما". رأى اليونانيون ان صنع الثياب ينتقص من عظمة ووقار الاله الاسمى، لذلك وجد فيلون معاني رمزية في هذه الآية فقال: ان التعبير"ثياب من جلد" هو تعبير مجازي يشير الى جلد الانسان، اي جسدنا. فالله خلق العقل اولا ودعاه آدم، ثم خلق الحواس واطلق عليها اسم الحياة. بعد ذلك كان لابد ان يخلق جسدا، ودعاه بشكل مجازي ثوبا من جلد. حاول فيلون ان يفلسف فكرة صنع الله ثيابا من جلد آدم وحواء.

لقد حاول فيون تأويل بعض اسماء الانهار التي تسقي الجنة (ترمز الى التعقل، العدل، الرزانة...)، مما يعني ان الرمز والمجاز قد حلّ محل الجغرافيا.

وكل هذا ينطبق على : رواية الخلق، مقتل هابيل، الطوفان (سيدنا نوح)، بلبلة الالسن في بابل.

كما ان للنفس معنى رمزي لانها خالدة لا تموت.

كان فلاسفة اليهود يفسرون التوراة، مثلما كان الاغريق يفسرون هوميروس منذ زمن بعيد، وفق المنهج الرمزي، ومن ثم كان كل ما في التوراة يتحول الى قصة نفس تقترب من الله او تبتعد عنه بمقدار تنائيها عن الجسم او تدانيها منه. ومن هذا القبيل، مثلا، ان كل الفصل الاول من سفر التكوين كان يؤول على انه قصة عقل مطهر مصفى، خلقه الله وجعل مقامه في وسط الفضائل، وبعدئذ صنع الله، على مثال هذا العقل، عقلا اقرب الى الارض (آدم) واعطاه الحس (حواء) سندا له ومعونة ضرورية، وعن طريق هذا الحس طاوع العقل اللذة (الافعى) فافسدته.

اما ما تبقى من سفر التكوين فهو قصة مختلف الصور التي يعود بها الانسان كما كان من قبل عقلا خالصا، وكان الانبياء انفسهم يرمزون الى الطرق الثلاث الممكنة لهذه العودة: التمرس بالزهد (يعقوب)، او التعلم (ابراهيم)، او نعمة عفوية وطبيعية (اسحاق).

المحاضرة الرابعة: التأويل عند القديس أوغسطين

حاول اوغسطين توظيف افلاطون (محاورات تيماوس، فيدون...)، افلوطين (التاسوعات)، بالاضافة الى الرواقية (الخلق البذري). اعتنق المانوية في بداية حياته، لكنه سرعان ما اصبح من آباء الكنيسة المدافعين عن المسيحية، بحيث تولى مهمة انهاء تلك الفوضى العقائدية والدينية (الهراطقة)، وذلك من خلال اعادة ترتيب بيت المسيحية من جديد.

حاول اوغسطين ادراج التاريخ المقدس في التاريخ الانساني. فما الحقيقة الكلية الا حقيقة التاريخ البشرية منذ الخلق حتى اليوم وحتى الابد في الحياة كما ارادها الله. بمعنى انه يدرس التاريخ الكتابي كما تجلى في التوراة من السرد التوراتي من اساطير الخطيئة الى اسطورة الفداء والصلب والقيام بما فيه من طغيان الشرور، حيث هيمن الى التضحية والخلاص في دورة مستمرة كما يسرد في التوراة والانجيل فهي تضمن فعل الماضي، والحاضر والفعل المستقبلي كلها كاملة جلية في النص الذي يتكون من الاساطير الدينية

حيث خطيئة آدم وحواء والطرد من الجنة وعملية التطهر عبر الفداء، الذي ظهر في فداء هابيل في صراعه مع قابيل، او في فداء اسماعيل لابراهيم ، والفداء عن الخطيئة تجلى في المسيح حيث التكفير عن الخطيئة. هنا نحن امام ترابط السرد التوراتي كما في العهد القديم الذي ورثه العهد الجديد.

هذا التحبيك التوراتي يأخذ في عرف التاويل الرمزي المسيحي الى ظاهر وباطن، بحيث ينظر اوغسطين الى اساطير العهد القديم على انها تمتلك تعبير باطني غير الظاهر منها اسطورة" قابيل وهابيل"، فقد كان حسب التاويل الرمزي (قابيل يرمز الى اليهود قبل المسيح).

هنا اوغسطين ليس مؤرخ بالمعنى العادي وان كان قد مارس هذا في بعض دراساته الا انه ايضا يمارس المنهج الرمزي المسيحي في فهم العقيدة بوصفها ظاهر وباطن.

منهج اوغسطين في تأويل الاحداث من اجل اكتشاف الحقيقة الباطنية في الظاهر:

في كتاب اوغسطين"العقيدة المسيحية" قدم مبادئ واضحة للتمييز بين نوعين من التفسير، الظاهر والمعنى الباطن، الا انه وفق اولويات الممارسة الروحية، يكون الترجيح للتفسير الباطني.

ان منهج التاويل عنده هو عبارة عن نظريات اختلطت فيها الفلسفة مع العقيدة المسيحية "اعقل كي تؤمن وآمن كي تعقل"

"ان كل ما جاء في الكتاب المقدس ولا يتعلق مباشرة بالايمان وبالاخلاق لابد من اعتباره معنى مجازيا."

قواعد التأويل:

–ان يلتزم القارئ للنص الديني بتحليل حذر وشامل للغة النص وبنيته النحوية، من اجل منع اية استنتاجات غريبة لا اساس لها. فالكلمات عبارة عن دلالات وعبارات (ضرورة دراسة المعنى الحرفي واللغوي).

-الحضور الروحي للقارئ والمؤول لاستقبال الانوار الربانية.

مراحل المنهج التأويلي:

1-المرحلة الاولى:

-قراءة الكتاب المقدس او حفظه عن ظهر قلب (حتى يتعود القارئ على النصوص).

-التفسير الحرفي او اللغوي للنصوص وفيها يوضح الشارح كل التراكيب الغامضة او غير الدقيقة والكلمات والتعابير غير المألوفة.

2-المرحلة الثانية:

هي المرحلة التأويلية الحقيقية، فبعد التفسير اللغوي والتحقيق والشرح (عالِم لغوي)، فإن المرحلة الثانية تحتاج الى معارف متعددة علمية وفلسفية. مثلا: التأويل المجازي في كتاب "مدينة الله"- اسم آدم في اللغة العبرية: ذكر وأنثى (انسان) وليس اسم علم.

المحاضرة الخامسة: التأويل عند ابن رشد

يعتبر كتاب فصل المقال(تقرير مابين الحكمة والشريعة من الاتصال) من بين أهم الكتب التي ألفها فيلسوف قرطبة **أبو الوليد ابن رشد.**

إن هذا الكتاب يعتبر بمثابة امتداد للسجال الفكري الذي قام بين الغزالي وابن رشد، والذي تجسد من خلال كتاب **تهافت الفلاسفة** الذي رد عليه ابن رشد من خلال كتابه الشهير **تهافت التهافت.** إن مسألة تكفير الغزالي للفلاسفة كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت ابن رشد لتأليف كتابه"فصل المقال"، بالإضافة الى إقرار الفقهاء والعلماء بوجود آيات متشابهات ومحكمات في القرآن الكريم. وإذا كان الإسلام (الشيعي) لم تواجهه مسالة تأويل هذه الآيات المتشابهات، لان هذا الأمر كان يُسند للإمام المعصوم حسب

مزاعم الشيعة، لكن الأمر يختلف تماما عند الإسلام (السني)، بسبب عدم وجود سلطة عقائدية تتكفل بهذه المسالة، خاصة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.

يكشف ابن رشد، في محاولة تعيين الهيئة التي ينبغي أن تسند إليها هذه السلطة العقائدية، عن ابرز جوانب عبقريته. وهنا أيضا يمده القرآن بالذريعة العقلية لهذا اليقين. فالقرآن بعد أن يقول:"هو الذي انزل عليك الكتاب"، يضيف:"منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات...وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم"(سورة آل عمران اية5)، هذا على الأقل بحسب قراءة عريقة وجديرة بكل اعتبار.

ويلاحظ فورا أن المشكلة برمتها تدور على تأويل العبارة "**الراسخون في العلم**". وعند ابن رشد إن هذه العبارة لا تتحمل إلا تأويلا واحدا، هو أنهم الفلاسفة. وبعض حججه يقوم على أسس تاريخية، بينما يقوم البعض الآخر على اعتبارات نظرية مجردة...

إن ابن رشد يصنف خطابات الناس الى ثلاثة أصناف، هي البرهاني والجدلي والخطابي، ويعتبر ان القياس البرهاني من اختصاص الفلاسفة، والجدلي من اختصاص المتكلمين، والخطابي من اختصاص جمهور الناس الغالب.

ويأخذ ابن رشد على المتكلمين، بعد اتهامهم بضعف أدلتهم الجدلية، تصريحهم بأسرار التأويل التي يجب أن لا يخوض فيها المرء إلا مع من هو أهل لها، وزرعهم بذور الفتنة والشقاق بين المسلمين. وقد ألف ابن رشد كتابه في "**الكشف عن مناهج الأدلة**" لتعزيز موقفه ضد المتكلمين بوجه عام والأشاعرة بوجه خاص...وغرضه الفحص"عن الظاهر من العقائد التي قصد الشارع (أي النبي) حمل الجمهور عليها"، تمييزا عن تلك العقائد الفاسدة التي جرتهم تأويلات المتكلمين الواهية الى الأخذ بها."

<u>شروط التأويل وحدوده</u>

1)ليس من اختصاص المتكلمين التأويل وإنما من اختصاص الفلاسفة فقط.

2)إن القرآن الذي يخاطب طبقات الناس الثلاث، لا الفلاسفة وحسب، يستعمل أشكال القياس الثلاثة الأنفة الذكر. وكل طبقة إنما تبلغ من التصديق الدرجة الخاصة بها، والتي تتطلبها سعادة أفرادها، وذلك دليل، عند ابن رشد، على حكمة الله الذي لا يخاطب الناس إلا حسب مداركهم.

3) والشرط الثالث هو أن التأويل ينبغي أن يفهم على حقيقته ويطبق تطبيقا صحيحا. ونعني بالتأويل، كما يقول ابن رشد، "إخراج اللفظ من الدلالة المجازية الى الدلالة الحقيقية، من غير ان يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز بتسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عُددت في تعريف أصناف الكلام المجازي".

ويكرر ابن رشد مرارا أن على الجمهور أن يكتفي بحمل الآيات القرآنية على ظاهرها، وان التصريح "بأسرار التأويل" إثم عظيم، ارتكبه الغزالي خاصة، والاشاعرة عامة. وفحوى هذا القول هو أن ضربا من الفضول الفكري الأثيم الذي لا يمكن أن يفضي إلا الى الهلاك والذي ينبغي أن يُمنع عنه الجمهور بأي ثمن، ماداموا غير مجهزين لإدراك معاني الوحي الباطنية بالتأويل.

<u>مواطن التأويل وأصحابه</u> :هناك ثلاثة أحوال ينبغي التأويل فيها:

1)حيث لم ينعقد الإجماع حول المدلول الشرعي والعقائدي في بعض الآيات.

2)حيث يبدو أن الآيات القرآنية تتعارض منطقيا إحداها مع الأخرى.

3)حيث يبدو أن هذه الآيات تتعارض مع مبادئ الفلسفة أو مع العقل الطبيعي.

**لكن هذا لا يعني أن الفيلسوف يمكن أن يضع عقائد جديدة أو يرفض عقائد صريحة واردة في القرآن والسنة (ضرورة أن يُسلم بوجود الله كصانع ومدبر للعالم، الوحدانية، صفات الله السبع، تنزيه الله من كل نقص، صنع الله للعالم، صدق النبوة، العدل الإلهي، المعاد).

قائمة المصادر والمراجع:

1-دايفيد جاسبر: مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو

2-اميرة مطر حلمي: التاويل وجذوره في الفكر القديم

3-اسرائيل ولفنسون: موسى ابن ميمون حياته ومصنفاته

4-يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط

5-اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ج2 ج3، ترجمة جورج طرابيشي

6-عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى

7-ابن رشد: الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة